أزمة الأدب المحلي

بقلم حسين جميل البرغوثي

٣

قلنا بأن مستوى الافتراض منخفض جدا، في الادب المحلي. فلتوضيح حقيقتين اساسيتين قبل الاستمرار في التحليل.

في الرسم على القماش، لا يرى الانسان الجاهل الا بقع من الحبر بغير معنى، لانه لا يستطيع ان يركب، وان يتخيل الاجزاء الناقصة من الصورة، لتصبح بحرا او صورة ما اخرى.

والشعر كذلك، يترك للقارىء شيئا، قليلا او كثيرا، ليركبه، ليتوصل اليه بنفسه، وبالتالي يفترض فيه ثقافة وتجربة وذوقا، وباختصار، مستوى معينا، مميزات معينة، لا يستطيع بدونها فهم العمل الفني. ان موسيقى بيتهوفن او سترافنسكي ليست اكثر من ضجيج يقلق الراس، لمن لا يمتلك ثقافة موسيقية.

والحقيقة الثانية هي ان العلم يهدف الى تعميق ادراك الانسان للواقع، وكذلك الادب، ولكن طريقته تختلف، فطريقته هي جعل القارىء يدرك الحقيقة عبر التاثير الجمالي، عبر التاثير على احاسيسه ومشاعره وعقله وخياله.... الخ. وبالتالي فان محتوى الادب يجب ان يقول الحقيقة، اذا اراد ان يكون ادبا حقيقيا.

لنرجع للموضوع. ان مستوى الافتراض يتضمن اذن، الامور التالية:

ما هو مستوى التجربة والثقافة....الخ، التي يجب ان يمتلكها القارىء، لكي يستطيع ان يركب ويستنتج ويفهم تلك الاجزاء الغائبة من "الصورة المرسومة على القماش"، اي من العمل الفني ولكي يدرك ابعاد الصورة ككل؟.

وثانيا: ما هو مستوى الاجزاء التي تركبها؟. اذا كانت المتورة تافهة، فإن الاجزاء كذلك. لنأخذ مثالا، يفسر ما قلناه، عن انخفاض مستوى الافتراض:

يقول احمد حسين، في ديوان "زمن الخوف" :

"مسكين من ولدته امرأة لم تعشق غير ابيه
... لا تعرف ان العالم شيخ يحيا بالصدفة،
يمسح رئتيه قبائل وشعوبا وحضارات".

اذن مسكين من لم تلده عاهرة، لا تعرف ان صفا من اكبر الفلاسفة (هيجل، فيخته، ...الخ) ليس اكثر من صف اغبياء، لانهم يؤكدون ان العالم لا يحيا بالصدفة، بل بدباكتيك معقد، فيه الضرورة صدفة، والصدفة ضرورة في نفس الوقت. ولا تعرف ان الشعوب والحضارات والقبائل، اي الانسانية، ليست اكثر من "بصاق" لهذا الشيخ، ومن جملتها الشعب الفلسطيني ايضا. هكذا وبكل بساطة.

ويواصل الشاعر تعميق ادراكنا للواقع:

"مسكين من لا يعرف ان اوان العصر اتى،
وبأن مساء اللعنة ان"

اذن فان العالم يقترب من نهايته!.

يفترض الشاعر نظاما اخلاقيا معينا تستحق الانسانية الشتم على اساسه. وهذا النظام الاخلاقي، لا بد من ان يكون سلبيا، وبكلمة اكثر حدة، منحطا لانه غير انساني.

ويفترض بأن العالم يقترب من نهايته، وهذا يدل على ان الشاعر لا يملك ادنى معرفة بقوانين تطور التاريخ، وبأن الفلاسفة الديالكتيكيين، مثاليين وماديين معا، اغبياء، بدون مقدمات ولا براهين، وهذا يدل على جهل بالفلسفة.

نستطيع ان نستخلص اذن ان المحتوى "زائف كليا" وهذا عكس مهمة الادب.

"ان الفنان الحقيقي هو الذي يمسك بالاشياء من جذورها. وجذر كل شيء، بالنسبة للانسان، هو الانسان" هكذا يقول ماركس. هل امسك الشاعر بالاشياء من جذورها؟. لا اعتقد ذلك.

من الواضح ان الشاعر يحاول تقليد مظفر النواب، ولكن شتائمه تفتقر للمنطق والمقدمات، وهذا اضعف الايمان!

يختتم البوت قصيدة "الرجال الفارغون" بنفس المقطع الاخير للشاعر، فيقول "هذا هو الطريق الذي ينتهي عنده العالم"، ولكن قصيدةالبوت تشبه بناء هرميا، يتصاعد حتى يصل الى هذه القمة، نهاية العالم، فنيا هذه الطريقة سليمة، ولكن من الناحية الموضوعية هذه النتيجة خطأ. ان البوت مشهور ايضا بمعاه عن ادراك امم حقائق العصر، وتشاؤمه اللاهوتي يقوده الى مثل هذه النتائج. ولكن هذا موضوع اخر.

واخيرا، ما هو مستوى القارىء الذي يفترضه هذا الشاعر عندما يشك في عقله؟. ما هو مستوى العمل الفني عندما يصل محتواه الى نتائج زائفة؟ ان عقل الشاعر غائب في هذه القصيدة، وعقل القارىء الذي يتاثر بها، ويعتبرها شعرا غائب ايضا. هذه هي الحلقة المفرغة التي يدور فيها "شعراؤنا" كل واحد على طريقته الخاصة. "نحن مجانين اذا لم نستطع ان نفكر،
وجبناء اذا لم نجرؤ ان نفكر،
وعبيد اذا لم نرد ان نفكر".

عذت لأحبك أكثر

عشت حياتي معك دون ان اعرفك، رايت لاول مره، فيك جمالا لم اره من قبل، رايت فيك اشياء تختلف جدا عن الموجود في عشيقات الاخرين، لاول مرة ارى شعرك الاخضر، اشياء جديدة، كان كل هذا عندما استطاع ذلك الخليجي ان يغشني لاتبل بالعباب عنك نصف سنة لا تلوميني يا حبيبتي، لقد اسمعني بحل لما تعانيه عائلتي، فلقد تشققت اقدام اهوتي من السير باقدام حافية على الحصى، لا تلوميني فأمي تبدو من بعيد كهيكل عظمي يصلح ان يكون نموذجا للمجاعة في العالم، واختي الصغيرة تصرصر عينيها لتتحقق من الاشياء... لقد اصابها مرض مزمن غريب عن عالم الطب... انه "الجوع المزمن". اوعدني ذاك المتخم بأن دمايئ الى ارض البترول سيحل هذه المشاكل، الا انه لم يوصلني الا عند وجوه سمر اتذكر انني رايتها قبل احد عشر عاما... كنت صغيرا في تلك الفترة، كنت اهوى اللعب بثوبك وانفض التراب عنه ليستقر في مقلتي... ويتداخل في مسامات ثوبي الواسعة.... حاولت التعرف عليهم وان يتعرفوا علي الا ان شيئا لم افهمه يشدهم بعنم التكلم بلغتي.... عشت نصف السنة بينهم ولكن بدون ان نفهم بعضنا... باختصار لقد فهمت شيئا كنت اسمع به الا انني فهمته لانني عشته انه "الاغتراب" لقد فهمته اكثر من قصة سليمان مع طيوره في الاجتماع الذي تاهر العصفور الذي هدده عقابه بشيء اصعب من الموت استغربت الطيور ان يكون اصعب من الموت فقال: انني سأصمه مستقبلا يفهمهم ولا يفهمونه. مع الشكر كانت هذه حياتي حبيبتي..... لكن عزائي انني ساعود لارتمي في حضنك الذي لم ار دفئا في حياتي بالرغم من العبوس الذي جبينك الا انني ارى الاشعاع التي تشبه الشفق الاحمر في الظهيرة.... عدت ولو لم اكن وامي ستبقيان على ضعف امي ومجاعتها لا تزغرد يوم عرسنا وصرصرة عيني اختي لا احضارها الحطب لنشعل والذريف من قدمي لكي على استدعاء الناس العرس والمشاركة فيه...

ابو شم

عاشقة المرايا

التفت الحيان واحدة على وضاع الطفل ما بين الدرو متنقلا ما بين ابواب المحلا وبكفه الصغرى يدق الباب كي يلقى جواب
الباب شيعه بصمت ساخ من مقلتيه
فبكى وعاد يجر خطواته على عرض الطريق
قدماه عاريتان دامیتان من وطء الحناجر
ويشيع صوت في مساس ترددة الحناجر
كالقعقعات على المقابر
يتذكر الماضي لعل به بقايا من شعاع
فيرى خداع الام
قد هجرته واتجهت الى نادي العراة
تجري وراء اللذة
انتحرت على اهدابها كل الضحايا
وقفت تباهي شبه بلهاء
وتنظر في انعكاسان الم
وتمايلت من نشوة
وتصورت ان المقاعد مثلي
والقصر يزخر بالخدم
اما المراوح قد اعدن في الجهات الاربع
قطعت يمينا مسبقا
ان تستحم بقصرها
في المسبح الفضي
واشترطت دماء لا مياه
الدم صافي اللون
دم العاشقين الابرياء
يحلو اذا لمس الشفاه
والطفل يكبر صابنا بين الا
صنعته لقمات الالم
ان المصاعب صانعان الر
في الليل يعمل جاهدا
يجلو بخنجره العتيق
كي يشحذه، دوما يجرب
وبكفه اليسرى يشد النف
المصنوع من صاني العا
ويسير يبحث عن عدو له
في نادي العراة
الطفل تجهله انعكاسان
لكنه ينقض يغرس خنج
في قلب عاشقة المرايا

حمدان العو

العثور على مخطوطة لأصول النحو العربي

يعكف علماء سوفييت على دراسة النسخة الاولى من رسالة في اصول النحو العربي للشاعر عبد الرحمن الجامي الذي عاش في القرن الخامس عشر. وكان سكان احدى القرى الجبلية في قرغيزيا قد عثروا على المخطوطة النادرة وقدموها هدية للعلماء.

من الشعر السوفياتي الحديث

باصرارك فقط

باصرارك فقط
به فقط
بيندميت فقط
انت الذي يريد كسب اروع الكنوز
لن يكون لك اي شيء
الكل، في العالم، لكي ينضج
يتطلب وقتا:
الثمرة،
الفكرة،
والزمن نفسه

مخران ماتشافريان

الى لينين

انه عرف ازلي:
عندما يموت انسان ونودعه بطن الارض،
تاريخان يظلان على شاهد قبره
الاول تاريخ مجيئه الى العالم،
والثاني، تاريخ وفاته.
هذا هو العرف الازلي
ولكنك انت ايها الشيء العظيم،
تاريخ واحد بقي لك،
ذلك، ان امام مولدك،
الموت فقد تأمينه، فلم يجرؤ على تقديم نفسه

كرتا بيغولانا

الطبقة العاملة

على صدري يلمع حجر كريم
احمر، علامة الخلود.
انها، ايها الشعراء، اكبر موضوع:
الطبقة العاملة... تعالوا تغنوا بي!
يقتلون، ولكن انهض
ضد فرساي، الاحجار المكعبة في الايدي
يفور دمي
يغلو غضبي واصرخ: الخبز

نازي كيلاسونيا

انتقل الى الرفيق الاعلى الشاعر والاديب سعدي هاشم ابو عيشه وهو في ريعان الشباب.

ولد الاديب والشاعر الفلسطيني عام ١٩٤٠ بفلسطين بمدينة بئر السبع وتعلم بمدارسها الابتدائية، ثم رحل عام ١٩٤٨ مع اسرته الى مدينة غزة والتحق بمدرسة صلاح الدين الابتدائية ثم انهى دراسته الاعدادية والتحق بمعهد المعلمين بغزة ومنذ صغره كانت عنده موهبة الاطلاع على جميع مناهل الادب العربي وبدأ يكتب الشعر والمقالات الادبية ثم اشترك في مهرجان الشعر الذي نظمته مديرية التعليم والثقافة عام ١٩٦٠ ونال الجائزة الاولى وبعد ان انهى تعليمه تخرج مدرسا بمدرسة رفح الابتدائية ثم الى مدرسة الامام الشافعي للاجئين وفي عام ١٩٦٢ تعاقد مع البعثة الكويتية مدرسا بالكويت وقد اشتهر وهو موجود بقطاع غزة بغزارة انتاجه في الشعر واشترك في عدة مهرجانات شعبية وندوات ثقافية وكتب عدة قصائد ومقالات ادبية بجريدة المرأة وجريدة اخبار فلسطين ثم الحرية وفلسطيننا بيروت.

وبعد ان سافر الى الكويت تابع كتابة الشعر والمقالات الادبية والسياسية والتحق باتحاد الكتاب الفلسطينيين الموجود بالكويت وكان عضوا بارزا فيه واشترك في مؤتمر الادباء والشعراء الذي عقد بدمشق عام ١٩٧٣ واذيعت بعض قصائده من اذاعة الكويت.

وفي عام ١٩٧٦ اصيب بالسرطان ثم اجريت له عملية جراحية بالمبح ثم انتقل الى رحمته تعالى في ١٩٧٨.٤.٣ وهو في ريعان الشباب تاركا ولدين وبنتين ومن قصائده نقتطف منها بعض هذه الابيات.

كلمة عرفان

للأديب والشاعر الفلسطيني

المرحوم سعدي هاشم أبوعيشه

١) قصيدة بعنوان الوحدة العربية

الوحدة الكبرى امانينا ومطلبنا الوحيد...
والعودة الكبرى تجلجل بالدماء وبالنشيد..
والزحف يمضي بالمواعد والمشاعل والرعود
هيهات صوت الشعب تهزمه الجحافل والجنود
هو راية الاصرار خافقة على قمم الخلود

وقصيدة بعنوان بلادي

يا بلادي يا كعبة الشهداء
اسمدي للخلود عبر الفناء
ها انا قد اتيت انفض الاتي
كفاحا من منبر العلياء
انظريني اتعرفين فتى المجد
اطلت به عيون الفضاء
انا ذاك الصغير بالامس كانت
لي دنيات لذاتي وهنائي
انا ذاك الصغير خلفت فيك
كل الهوى.. ارجوحتي وغنائي
انا ان نسيت في الرمال وسادتي
والصغير الظلم من اشيائي
انا ان نسيت عند بحرك قلبي
صامدا للغذاء يبكي وراثي

وقصيدة اخرى

سنرويها بكل الالسن الحيرى
فاعيننا تصنع الثورة.. الثورة
بلا كلمة... بلا نغمة
نعلمهم بأن لنا كلاما يفهم الصمت
نعلمهم فلا احد بدأ يفهم
وهل يعلم...
بأن المد لا يرحم
يكلمنا بلا مبدأ
يخاصمنا... يخاصم
زحمة التاريخ...
والفلاح والكادح
وحتى خيمة الذل...